

نافذة

تدمر.. الأعجوبة...
لؤلؤة الصحراء

«لنتحد من أجل حماية التراث» عنوان حملة عالمية، أعلنتها «إيرينا بوكوفا» المدير العام للمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» وتبعتها تصريحات ونداءات وأصوات عالمية غاضبة تعلن استنكارها لما حدث في مدينة تدمر الأثرية المسجلة على لائحة التراث العالمي باعتبارها من إرث الإنسانية الذي يجب الحفاظ عليه وصيانته وترميمه.. الحملة مستمرة، وتحمل في مضامينها ومانيها مشاريع الخوف البالغ أن تلقى «لؤلؤة الصحراء» ومدينة المجد والأعجوبة التي لا وجود لمثلها في العالم، المسير الذي لقيته مدينة تدمر العراقية ومتحف نينوى ومعلولا وغيرها.. الحملة الإعلامية الكبيرة على شبكات التواصل الاجتماعي لم تنقطع وجميعها، وبلغات عالمية كثيرة، تحمل عناوين لافتة: «أنقذوا تدمر» «أثار تدمر إرث حضاري يخص العالم كله، والعالم مطالب بحمايته» «أنقذوا تدمر من الهلاك»، «حضارة آلاف السنين مهددة بالزوال والعالم يتفرج» «تدمر خارج خريطة الحضارة الآن».

الذين زاروا تدمر وعرفوا عظمتها وروعها وعنفوان ملكتها «زنوبيا» وجمالية الآثار الموجودة فيها، التي جعلتها لوحة فنية خالدة لا مثيل لها في العالم.. لا يمكنهم أن يتصوروا أنها أصبحت في حضرة الإرهاب.. لا يمكنهم أن يتصوروا أن هذه المدينة التي تعود أقدم آثارها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، والتي اشتق اسمها من «تدمرنا» والتي تعني بالآرامية «الأعجوبة» وكانت مدينة القوافل الكبيرة، وكان لفرسانها ووجهه الكبير في مسيرة الحضارة.. لقد ملؤوا الصحراء حياة على طريق الحرير العالمي.. الذين زاروا تدمر يعرفون جيداً، عندما زارها الامبراطور «هادريان» عام «١٢٩م» أظهر مدى إعجابها بها، ما دفعه إلى إطلاق اسم «هادريانا المدينة الحرة» ومنحها الوضع الذي يؤهلها لسن القوانين والأنظمة لتكون مدينة الفن والتجارة والصناعة والثقافة العالمية، ومدينة أقدم وأكمل «لوحة جمركية» في العالم تعرف باسم «لائحة بوتنجر».

في «تدمر» تعانقت حضارات العالم القديم، يقول المؤرخ «إيبان»: «تجار تدمر كانوا يجلبون من بلاد فارس منتجات الهند وشبه الجزيرة العربية، ليبيعوها مجدداً للرومان» لقد تجلّت عبقرية التدمريين في إعداد نظام للقوافل قادر على اجتياز مئات الكيلومترات من الصحراء، بين مدينتهم وحوض الفرات، فقد كانوا أبناء الصحراء، ويعرفون كيف يشكلون فريقاً يقود القوافل.. تجار تدمر كانوا يستوردون الحرير الخام من الصين، ثم يقومون بتحضيره بأسلوبهم الخاص، بديل غثور علماء الآثار على نماذج تدمرية من المنسوجات الحريرية في أسكن متفرقة من أوروبا، وبفضل ما كانت هذه المنسوجات تتمتع به من مواصفات في غاية الدقة والجودة، استطاع التدمريون أن يحققوا ثورة في عالم الأزياء في مصر، وأصبحت مثلاً أعلى يحتذى في بيزنطة، فقد كانت تتمتع بنعومة اللمس، وحسن الصنعة، والحواشي المزخرفة بالرسوم المتشابهة.

عظمة تدمر لم تتوقف عند هذا، بل امتدت لتشمل المعتقدات والطقوس الدينية المتطورة، والفن الرائع الذي حافظ على تقاليد سورية رافدية متأصلة في أقدم العصور، وقام بتطويرها بتأثيرات هندية-فارسية هلينستية-رومانية، فكانت منحوتاتها خاضعة لقواعد شرقية، تتميز بقوة تعبير رجالها وتفشفهم وتبليهم وجمال النساء وترفنهن، وسمات مشتركة في الثياب والحركة والزينة، التي لا مثيل لها.. البديع العمراني في تدمر لا حدود له.. ما جعل الباحثين الذين عملوا في تدمر، مدة طويلة، يشعرون شعوراً خفياً، أن هذه المدينة الخالدة لم تكشف كل أسرارها، وما زالت تحتفظ بقسم وافر منها، وأنها تهيئ كثيراً من المفاجآت للمستقبل.. العمراني التدمري من الحقائق المعقدة جداً، لأنه ليس هلينستياً ولا رومانياً، بل مزيج منهما من أصالة سائدة بوضوح، جاءت قبل ذلك بكثير.. لقد وجدت في مدينة تدمر مرونة عمرانية رائعة في المباني العامة والدينية، وكانت المثال الذي يحتذى في كثير من دول ومدن العالم، لدرجة أن أحد الباحثين، شبه العملية العمرانية التي قام بها عمدة باريس «هوسمان» في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالشارع المستقيم في تدمر.

لقد كتبت مئات الكتب والدراسات عن تدمر، وسوف يكتب في القادم من السنوات المئات، وسوف تظل البشريّة، مهما حدث، ومهما كان الثمن الذي ستتكبده تدمر مع الشاعر التدمري برهان الشليل:

أنا تدمر أنا تدمر
أنا زنوبيا السمراء
أنا فنّ ورمل ونخل
أنا التاريخ والأعصر
تباهي اليوم يا تدمر
سلاماً أنت قافيتي
وأنت الحب ما أسكر
م والأمجاد يا تدمر

د. علي القيم

دخولي ساحة الغناء مغامرة

يوسف البزال لـ«الوطن»: الدراما السورية هي الأولى في الوطن العربي

إ. عامر فؤاد عامر

فنان من لبنان بدأ خطواته الأولى في المسرح، ولكنه وجد في الدراما السورية بوابته التي أخلص لها، فكان له وجود لطيف في عدة مسلسلات منها صبايا الجزء ٥، ورقص الأفاعي، وحدود شقيقة، وقبالة البنادق، ونيو لوك، وليالي شامية، وغيرها، ومن جانب آخر له عدة تجارب في عالم الغناء منها خمس سطور، وقلبي محتاجك، وبدي غنجها، وأغنية خاصة للأُم أصدرها مؤخراً، وغيرها، وبذلك يجمع ضيفنا بين جانبيين في طريقه الفني - التمثيل والغناء -، ونجده مجتهداً في كليهما. الفنان «يوسف البزال» يروي لنا عن بدايته، وطموحاته، وجدیده القادم في حوارنا معه عبر صحيفة «الوطن».

طموحي كبير في الوصول
للعالمية ورفع علم بلدي عالياً

بداية من لبنان

بدأ الفنان «يوسف البزال» خطوته الأولى من لبنان ومن المسرح تحديداً، وعن هذه المرحلة يقول: «بدايتي كانت في عمر ١٧ عاماً، وكنت حينها قد انتهيت من دراسة (Production) في لبنان، وفي هذه المرحلة تعرفت على مخرج مسرحي عرض على دوراً في مسرحية فوافقت على ذلك من باب التجربة، لكنني بعد ذلك أحببت الدور الذي قدمته، وأحسبت بلغة المسرح، وتعلقت بها، فكان أن شاركت بعدة مسرحيات مثل: (غزل البنات)، و(نصار) والأمير (حسان)، و(السنافر)، وقدمت ريبورتاجاً خاصاً عن قلعة بعلبك، وهكذا وجدت نفسي العب على المنصة التي منحتني الخبرة».

الحضور على المسرح

خضع «يوسف البزال» لتدريبات وتمارين مسرحية، دعمت حضوره على المسرح والوقوف على المنصة كمترب، وعن هذه التجربة يضيف: «أدركت أن الوقوف على المسرح حالة مهمة يجب التدريب عليها، وخاصة في المواسم الفنية تتلاحق، وبدأ الطلب على حضورتي ومشاركتي في الحفلات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى المطلوب مني أن أهتم بكم من الأغاني لكي لا أملكث الأغاني الكافية الخاصة بي، فأجريت عدة تدريبات في لبنان، ومنها عدد من التدريبات لتأدية مجموعة من الأغاني (ميدى) تحت إشراف الأستاذ «جورج يعقوب»، والأستاذة «دانييلا الخوري»، وجاءت مدتها نحو ساعة ونصف.

بوابتي سورية

اختار «يوسف البزال» الدراما السورية بوابته للانطلاق في عالم الفن، وكان الأمر مقصوداً ومدروساً لديه، فله أسبابه الخاصة التي جعلته يتخذ هذا القرار ويؤمن به، وحول هذه الانطلاقة يضيف: «لقد درست المنسوجات الحريرية في أسكن متفرقة من أوروبا، وبالنسبة للدراما السورية فأنا وجدتها الدراما الأولى

في الوطن العربي على الرغم من وجود المنافسين لها، فقد جذبتني بقوة، ومنها ولد طموحي في الوصول إلى قلب كل مواطن عربي، ومنها دخلت إلى الدراما اللبنانية طبعاً، وفي لبنان لمست أن لدينا تفتحاً إعلامياً على أصحاب المواهب وعلى من يستحق، وللأسف يتم التعتيم عليهم على حساب ظهور آخرين في الوقت نفسه».

ردة فعل

عن ردة فعل الناس على دخوله للوسط الفني، وبالتحديد ردة فعل الأهل يقول: «منحني الناس معنويات مرتفعة من خلال التشجيع والتأييد التي تتهايل أمام كل مشاركة فنية أقوم بها أو حتى في كل فيديو كليب أطرحه، واعتقد أن هذا التشجيع هو ما جعلني أكثر متابرة للبقاء في الوسط الفني، أما بالنسبة للأهل فقد واجهت اعتراضهم، حين كنت في محاولاتي الأولى في مجال التمثيل، وذلك



لأنهم أحبوا أن أكمل دراستي في فرع جامعي آخر، ولكني آمنت بأن الفن هو طريقي، وفيما بعد وجدتهم داعمين في بقوة وخاصة عندما سمعوا أغنيتي الأولى فقررُوا مساعدتي في كل ما احتاج».

من التمثيل للغناء

عن حالة التنوع والازدواج بين التمثيل من ناحية والغناء من ناحية أخرى، يشير الفنان «يوسف البزال» إلى أنه تخوف من الأمر، لكنه قرر أن يدخل التجربة: «أحسست أن الموضوع محفوف بالخطر في بداية الأمر، ولكن أحببت خوض التجربة التي أعدها مغامرة مهمة، وقد جاء قرارى هذا بعد التشجيع الذي جاءني من الفنان «فضل سليمان»، إذ جاءت البداية من خلال أنني غنيت مصادفة أمامه، فأعجبه صوتي، وأصر على قيامي بالتجربة في الأغنية الأولى، وهكذا كانت الحكاية».

وعن الأغنيات التي قدمها «البزال»، والتي عمل على



تصويرها بطريقة الفيديو كليب يقول: «قدمت أغنيتي الأولى التي حملت اسم (بدي غنجها) وقد أحبتها الجمهور كثيراً، وهذا ما شجعتني لطرح الثانية التي جاء اسمها (خمس سطور) وكلمات الأغنيتين لـ«فضل سليمان»، ومن الحسان «فادي مرجان»، وقد تم التسجيل في استديو (بابلي تولز) في سورية، بعدها جاءت أغنيتاتي الأخرى (هدى وروفي، وقلبي محتاجك) وأغنية وطنية أحببت أن أقدمها لبلدي لبنان (لبنان مزين برجالو)، ومؤخراً طرحت أغنية للأُم بعنوان (يا أمي)، وصورتها بالاشتراك مع الفنانة السورية «رياح كلول»، عرضت في عيد الأم الماضي، وعن كلمات الأغاني، وآلية اختيارها يضيف: «أقوم بشكل شخصي في اختيار كلمات الأغنية: فالتى تفتني وارتاح لها هي ما اخترته»، وعن مشروع إصدار اليوم كامل باسمه وهي فكرة لم يهتم بها كثيراً يقول: «لقد فكرت بهذه المسألة، ولكن موضحة الأغنية المفردة أصبحت أفضل، لأن الأغنية تأخذ حقها في الانتشار، والسماح أكثر من مجموعة موجودة في اليوم واحد».

الجديد

عن جديده القادم يصرح لنا الفنان يوسف البزال: «ستروني في الموسم الرمضاني القريب من خلال مسلسل باب الحارة في جزئه السابع وشخصيتي هي يحيى ابن أبو النوار والعمل من إخراج «عزام فوق العادة»، وأيضاً ما زلت أصور مشاهدي في مسلسل «صدر البياز» للخرج «تامر اسحاق»، أما على صعيد الغناء فهناك تحضير لأغنية جديدة قائمة سغلن عنها حينما تكون الأمور جاهزة».

العمل

في نهاية لقائنا وعن طموحه ومستقبله يقول الفنان «يوسف البزال»: «لا حدود لطموحي، وأنا كأني شاب يفكر بمستقبله، وعموماً الوصول للعالمية هي رغبتني، وبالتأكيد أنا متفائل، وأريد من خطواتي أن تكون مميزة دائماً، وأنا على ثقة بأن الحلم الكبير سيجعل من الفرص تتقدم نحوى إلى أن يقول الناس هذا هو يوسف البزال الذي رفع علم بلده عالياً».

العروضات مواكب للرجولة الشعبية

الجابية، ولكن من أطرف ما كانت عليه العراضة الدمشقية تلك الزيارات لعراضة الأحياء المجاورة لها للمشاركة بمناسبة عيد المولد النبوي أو للتهنئة بختان ابن أحد وجهاء الحي والسلام على الحاج بعد أداءه فريضة الحج، وكان الفرسان على صهوة خيولهم يتقدمون بعض تلك العروضات. وزيارة العراضة للحي المجاور محكمة باطر من التقاليد متعارف عليها ولا يمكن الخروج عنها فعندما تصل هذه العراضة إلى مشارف الحي المزار تستقبلها عراضة ذلك الحي بالتأهيل والترحيب، وكثيراً ما يرافق تلك الزيارة للعراضة أعاب السيف والترس في مصلبة الحي المزار. فقد كانت العراضة الزائرة تهتف لدى وصولها إلى مشارف الحي المزار بقولها:

أبلة (بداية) السلام عليكم
فقد عليها العراضة المستقبلية بقولها:
أهلاً وسهلاً بيلى (من) جاي (جاء)
فينصدر الضيوف المكان المخصص لهم ويتبادل الجانبان التهانئ والتبريك وتدار عليها القبوة العربية السداة (المرّة) والمرطبات من عرق سوس ونحوه، كما قد يتبارى كل من شباب الجانبين في ألعاب السيف والترس كما قد يتبارى الفتانين في لعبة الحكم حيث تكون العصا بدل السيف فإذا وصلت عراضة الضيوف إلى مصلبة الحي (ساحة) المزار يُبادر أحد شباب الحي المزار إلى عقد راية الضيوف بقوله:
والعادية (الويل لمن يعاديتنا)
كان راية.. راية رسول الله البيضاء المجلية وراية (فلان) (فلان) من وجهاء الضيوف ومن وجهاء الحي المزار
ويختم ذلك بقوله:
وبيض الله وشوهه (وجهه)
وتخرج كلمة (شوهه) من الجميع وكأنها من فم رجل واحد ويعقب ذلك إطلاق العيارات النارية ابتهاجاً.

وعند رغبة العراضة الزائرة بالانصراف يختم أحد المشاركين بقوله:
خاطركم رايحين نروح استروا ما شفتوا منا فيرد عليها الحي المزار:
تمسوا يا ضيوف حياكم الله فيجيب الضيوف بالعراضة.
يخلف عليكم كتر الله خيركم وما يجلي في بالنازل غيركم وتكون خاتمة الطاف رد عراضة الحي المزار لعراضة الضيوف:
مع السلامة والدرّب سلطان (بأمان الله)

فقولهم في عراضة العرس:
ادلي يا عيني
على عتب الزيني
وادلي يا خاله
على شباب الحارة
طالعك العالية
العالية قصور البنات
أو قولهم في مقارعة المستعمر:
واسمع شو قال المذايع
عقبة (مرحي) يا كدعان الشام
عالحروب مجربة
خلينا المستعمر يدور
من الغوطة للشاغور
هادا شغليك شاغوري
هاد شغليك ميداني
أو قولهم:

دير المي (المياه) عالصفاص
رجال الشام يتخاف
دير المي عاطرخون
كدعان الشام ما بتخون
وإذا كان للعراضة الدمشقية أن تتحول من موكب لتسبيح شهيد من شهداء مقارعة المستعمر، إلى مواجهة مع قوات الاحتلال.. فإن من العراضات ما تتواكب في احتفالية واحدة كما هي الحال في مناسبة عيد المولد النبوي حيث تلقى عراضات أحياء مدينة دمشق على صعيد واحد في إطار الجامع الأسوي وما يحيط به، أكان في منطقة سيدي عامود (الحريقة) أو سوق مدحت باشا والمحمدية وحتى السجقدار وباب

غنمته ما ملته
غتمته خفانته عليه
وعلى من زار إليه
وعلى من زار قبره
حجت الاسلام لأجله
أما عراضة المناسبات الوطنية وخاصة ما كان منها في مقارعة سلطات المستعمر، فقد كانت على نحو آخر من الصدق والتعاضب مع الحدث.. حتى لكان الواحد منا إذا تأمل في وجوه جمهور العراضة، فإن له أن يلحظ أن كل خلية من خلال أجسام أفراد ذلك الجمهور تنبض بالتعبير الصادق والتعاضب مع الحدث حتى لكان قسماً وجوههم ومخارج الحروف من أفواههم تكاد تنفجر تحسسا بما تقول أمزوجة العراضة بقولهم:

الاجتماعية بل الدينية.. فإن من الممكن القول إن تلك العراضات كانت بمنزلة التعبير الصادق لأحاسيس الشعب وتطلعاته.. وإذا كانت عراضة العرس على نحو من الطرافة في بعض أمازيجها.. فإن عراضة الجوانب الأخرى من الحياة كعراضة استقبال الحجيج وعراضة إحياء ذكرى المولد النبوي كانت على جانب كبير من الرزانة والصدق في التعبير. ففي عراضة العرس قولهم:
العزابي يا ذلّه
ما في مين يغسل له
داير على جيرانه
يقبله وصبيانته
صابونته بجبينته
الله يلغم هييته
وفي عراضة ذكرى المولد النبوي قولهم:

توبتك عالشيخ ورسالن
شيخ رسالن يا شيخ رسالن
يا حامي البر والشام
هوجي يا شاغور هوجي
نحنا شبخنا السروجي
أو قولهم في استقبال الحجيج:
حجاج مكة ورد علينا
يا مرجحيا بالزائرينا
وسلام أكتب سلام
على اللي مظل بالعامم
والعامامة غتمه

موقع الهتاف من العراضة

غالباً ما يكون للهتاف موقع متوسط من جمهور العراضة، وقد يحمل على كتفي أحد المشاركين في العراضة، فيقوم بالترديد، وتقديم نص أمزوجة العراضة وهو يلوح بكتلا يديه يمنة ويسرة ومن أسفل إلى أعلى لولحاً ببندقية أو سيف يحمله وهو في حالة انفعالية تأخذ عليه إحساسه وتفكيره، ما عدا ما هو عليه من تلك العراضة. ولئن شملت مواكب العراضة الشعبية السابقة شتى مناسبات الحياة الوطنية

